

أستراتيجيا التفكير العلمي

«الأسس: مدخل إلى البحث العلمي»



د.محمد بشير الجويني
- خبير دولي مختص في الحوكمة.الأستراتيجيا و الإستشراف
- وسيط وسفير السلام
-مفكر و مهندس نظرية : الحوكمة النبيلة

إهداء

لكل من أمن بالحرية و
أعتنقها دينا و دنيا

إلى العقول النيرة،الثائرة
والطامحة إلى الأفق
اللامتناهي

د.جويني

ستراتيجيا التفكير العلمي

« الأسس: مدخل إلى البحث العلمي»

د.محمد بشير الجويني

خبير دولي



الملخص

في تعريفنا للمعرفة، هي تلك المنظومة الحية القائمة على "تفاعلات كيماوية" بين كتساب خبرة عملية أو مهنية إلى جانب تراكم المعلومات لتمتد هذه المنظومة إلى القدرة على الخلق و الإبداع ، لذلك يمكن أن يطلق على مختلف العلوم تسمية معارف، فكل عارف (حامل للمعرفة) هو عالم وكل عالم هو في الأصل باحث وكل باحث هو فنان مبدع .

أما العقل فهو الروح و القوى المحركة للدماغ البشري البيولوجي أو المادي ، و التفكير هي الخاصية التي خص بها الله الإنسان عن بقية المخلوقات عبر ملكة العقل الذي يمكن صياغته وصقله عبر نحت « الخلايا العصبية neurons » للدماغ البشري عبر التراكمات المعرفية مما يفضي لمنهج في التفكير، لذلك سميناها بأستراتيجيا التفكير العلمي, لأن الآستراتيجيا وإن عتمدت في بداياتها في المجال الحربي إلا أنها امتدت إلى السياسة و الإدارة و التسيير و مختلف العلوم لأنها تعني : « **التخطيط المحكم للوصول إلى الهدف عبر الموارد أو الوسائل المتاحة** » وهو **المنهج** الذي نسعى لبناءه في هذه الورقة البحثية أو" المغامرة المعرفية " **.**

كلمات مفتاحية : الإنسان ، التفكير ، العلم

1- المقدمة

التفكير العلمي هو القاعدة أو" الكينونة الفكرية" التي يبنى عليها البحث العلمي وبالتالي مناهجه (مناهج البحث العلمي : التجريبي،الوصفي،الإستنباطي أو الإستقراءي،التاريخي،...الخ) ، **فالبحث العلمي هو النشاط الذهني أو الفكري الذي ينتج**

العلم و يكشف الحقائق و يقدم الحلول للمشاكل.لذلك نجد الكثير من المختصين و العلماء الذين اشتغلوا و كتبو حول التفكير العلمي عبر الأزمنة سواء من الغرب مثل ديكارت و كانط ثم غاستون باشلار و جون لوك وصولا إلى ادغار موران، و من العرب مثل ابن رشد و أبن خلدون مرورا بطه حسين وعابد الجابري وصولا الى الدكتور فؤاد زكريا عبر كتابه « التفكير العلمي» و غيرهم، لذلك سوف نحاول المضي قدما على درب هؤلاء على مسار الاجتهاد و التطوير في علاقة بالتفكير العلمي عتمادا على **خر الإكتشافات و الإختراعات و البحوث و المستجدات العلمية في الساحة الكونية .**

فعلم صديقي القارىء أننا في بادئ البدء نحاول التجرد قدر الإمكان من بعض المكبلات الفكرية مثل الإيديولوجيا و الأحكام المسبقة و غيرها علنا نظفر بجزء كبير من الموضوعية العلمية التي تقتضي النزاهة و الحياد الفكري و الأخلاقي وحتى الروحاني مما يجعل منها (أي الموضوعية العلمية) نسبية فهي حقيقة "شاقة" الإدراك مثل « اليوتوبيا » لأن « **الباحث في حد ذاته موضوع بحث » .**

2- الطريقة أو المنهج

2-1 - مبدأ الحرية

2-1-1- معوقات التفكير العلمي عند العرب و اغتراب الحرية

العقل العربي هو" **ديني أو روحاني"** بامتياز عكسه في ذلك العقل **"الإجتماعي أو الوضعي"** ، فالفكر العربي محكوم بأحكام مسبقة أو المسلمات التي تدور في فلك الدين (الدغمائية ،الإيديولوجيا بما في ذلك العلمية) منذ نشأته و هو ما ينعكس بذلك على فكره لتترجم "هذه السلطة الفكرية" في شكل سلوكيات تمتد حتى إلى سياسات الدول العربية (في عملية صنع و اتخاذ القرارات) ، وهذا ما يجرنا إلى الحديث عن مبدأ أساسي للأسف مفقود أو في "اغتراب" في العالم العربي ألى و هو **«الحرية،أو بمعنى أصح الحاجة إلى الحرية» وهي أهم ركيزة يمكن أن يبنى عليها التفكير العلمي ،وهي الأصل الذي يمكن أن تنبع منه الفروع . فالحرية هي كيان مطلق ،ذاتية التنظم (self-organizing) عبر أدوات أبرزها**

المسؤولية ، وهي(أي الحرية) مزيج **بين القدرة و الإرادة** ، و تتجلى كذلك في أشكال مختلفة منها الصدفة (أو العشوائية العلمية) في الكون الكمي Quantum Cosmology مثلا ، وهي كذلك سلوك يكتسب عبر الممارسة ومن أهم أوجه هذه الممارسة عبر ملكة **النقد (أي طرح السؤال)** .

- فلا نستغرب مثلا ضعف نسبة مراكز البحث و التفكير في العالم العربي (وهي مراكز الحرية الفكرية) و إن وجدت فهي فقط " للإشهار" فمنتجاتها لا يقع اعتمادها في صنع و إتخاذ القرارات لدى المسؤولين ، فقد أشار تقرير جامعة بنسلفانيا (مراكز الفكر و المجتمع المدني) الصادر في 17 مارس2021 بشأن مراكز البحوث على مستوى العالم فنجد على سبيل المثال 344 مركزا في المنطقة العربية في حين تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 2203 مركزا بحثيا ، ممايحيلنا إلى" معظلة" تهميش العلماء و المفكرين و القدوات و بالتالي غياب الاهتمام بالعلوم و المعارف على أهميتها مثل «علم المستقبليات» القائم أساسا على الحرية، و إن وجد (هذا العلم مثلا)

فهو يجابه بمعوقات في تطبيقه ،فالعقل العربي حبيس الماضي و المستقبل بالنسبة له في علم الغيب أي من مشمولات الإله وحده و بالتالي لايمكن للإنسان اقتحام هذا الفضاء لأنه شيء حتمي و بالتالي لايجوز أو بمعنى أصح ممنوع التفكير فيه (لما هو من عقلية متوارثة) ،"وهنا تكمن المعظلة"، إذ يجب معرفة أن الإنسان مثل ما هو مسير في أشياء هو كذلك مخير أو بمعنى أصح هو« **حر** » وبالتالي هو صاحب القدرة و الإرادة، وما المستقبل الا جزء من مسار زمني «ممتد خطيا» (ماضي،حاضر،مستقبل) ابتدعه الإنسان لتيسير حياته وقد امتد ليصبح علما (علم المستقبليات) بل أكثر من ذلك أصبح «الإستشراف» يعتمد كأداة يمكن من خلالها أن يكون للإنسان وقع في« نحت وتغيير الواقع» و اقتحام مجال **« الغيب المجهول بالمتاح المعلوم »** عبر إستنباط "مستقبليات ممكنة" مثلا من ذلك عبر« **الحلم الذي يمكن له أن يولد الحقيقة »كما قال عالم الإستشراف الفرنسي Michel Godet ، وكما قال رسولنا الكريم : « لو تعلقت همة المرء**

بما وراء العرش لناله» إلى درجة أنه يمكن للإنسان كتابة مصيره بيده، و كما قال **الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي :« إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر» .**

- و مع النقائص أو بالأحرى النقاط السوداء والمعوقات التي يعانيها العالم العربي، وجب معرفة أنه لا تزهر حقول الثقافة و لايسموا الفن والإبداع و لا تتطور العلوم و المعارف بدون الحرية ، فهي علة الشك و سبب وجوده فهو(الشك) محرك البحث العلمي ، وبالتالي لو عتمدنا في معادلة حسابية المرجع الأساسي في قياس الموضوعية العلمية لكانت **الحرية** ، ولكن فمابالك ان كانت هذه الأخيرة في غتراب في الوعي الفردي و الجمعي العربي (الحرية "الكامنة") وخاصتا **حرية التفكير** .
 فالحرية في المخيال العربي لا تتجاوز حدود الحاكم وإن متدت إلى العامة بما في ذلك الباحثون و المختصون فتصبح لدى الأغلبية رهينة المسلمات و المعتقدات و غيرها وإن خرج الفكر عن هذه الحدود فقد "صبأ "صاحبها و يصبح "حالتا شاذة" إلى درجة أنه يقع مصادرة الفكر ببعض التهم، فإن لم يجرم

العالم أو الباحث من قبل العامة لمخالفته التفكير السائد يقع اتهامه من قبل السلطات في بعض الدول العربية بتهم مثل « تهمة الإفراط في التفكير » ، إلى جانب مصادرة النشر و كذلك الإعلام و الصحافة .
و لكن الحرية حاضرة في الفكر الغربي بنسبة أعلى وأوفر بغض النظر عن التفكير المادي « و إن كانت هذه الحرية حمالة أوجه أو يختلف مفهومها عبر الشعوب»إلا أنه لا يمكن إنكار التقدم العلمي للغرب ارتكازا على «فضيلة الحرية» و في المقابل ارتهان العرب لهم بالتقليد أو التبعية لما ينتجونه من علوم و معارف ،فالعقلية المادية الرأسمالية للأمريكان مثلا لم تثني أمريكا لتكون أكثر "دولة متدينة" في العالم (وان لايصرح بذلك) و مثال بسيط على ذلك يكفي أن تجد على واجهة عملتها و العملة المعتمدة دوليا (الدولار) عبارة « IN GOD WE TRUST ».

- **فالمعرفة قوة والحرية هي مزيج بين القدرة و الإرادة،وهنا تصبح المعرفة هي القدرة لتحقيق الإرادة و بالتالي لا معرفة دون حرية ولا قوة دون معرفة .**

2-2-الجدلية البناءة

تطرقنا في المقدمة على أن الموضوعية العلمية تبقى حقيقة شاقة الإدراك نظرا لأن الباحث في حد ذاته موضوع بحث وذلك لأنه لا يمكن له الوصول إلى الحياد التام بالتجرد بصفة تامة إما من أيديولوجيته أو أفكاره المسبقة أو المسلمات أو غيرها، لأنه ببساطة بشر مركب من تراكمات (ثقافية، دينية أو اثنية...الخ).« **سواء موروثة عبر جيناته أو مكتسبة من بيئته** » ، إلا أنه مطالب في بحثه العلمي على ابرام نوع من **"العقد الاجتماعي الفكري"** بينه و بين نفسه بالتجرد قدر الإمكان من التراكمات الفكرية سالفة الذكر للظفر بنسبة مهمة من الموضوعية العلمية الى جانب أسباب و مكونات أخرى مثل الحرفية و غيرها، وهو ما يحيلنا إلى الحديث عن طبيعة العلم في حد ذاته باعتباره "منظومة ديناميكية أي في تطور مستمر" (مثلا عبر مسار تطور العلوم في ما يعرف بالقطيعة الأبستمولوجية , والحداثة و ما بعدها) وبالتالي التفكير العلمي ديناميكي كذلك فلم يعد سجينا لسلطة العقلانية مثلا، فقد أثبت ماقاله ادغار موران بأن « أكبرعدو للعقل هو العقلانية (العقلانية المرتهنة لسلطة المنطق فهذا

الأخير تكمن مهمته فقط في تنظيم و ترتيب التفكير و لكنه لايقي العقل من الخطأ أو الزلل بل يقيده) » , و بالتالي لا يمكن حصر العلم في حدود المنطق أو التجارب الإمبريقية أو حتى تجارب الفكر(القيام بالتجربة في العقل) و كذلك الرصد أو الملاحظة (observation) ، بل يتجاوز (العلم) حدود المنطق ليقتحم حدود" اللامنطق" و من اليقين إلى عدم اليقين (حتى أن هنالك نظرية علمية في الفيزياء تعرف ب« بمبدأ عدم اليقين the uncertainty principle »)، وهو ما أثبت مؤخرا في خر اكتشافات الفيزياء وميكانيكا الكم أو حتى ما يعرف اليوم بالذكاء الإصطناعي (AI) ، حتى أن الخرافة التي كانت نقيض العلم أو التفكير العلمي بعضها أصبحت تكتشف بنتائج علمية مثل العين الحاسدة التي اكتشفت عبر الفيزياء و كذلك الروح على أنها طاقة،وحتى ما كان يكتب البارحة في الروايات على أنها خرافات (من وحي الخيال) تحولت الى أفلام خيال علمي و منها اليوم إلى حقائق ملموسة عبر التنولوجيا ، و ما الخرافة إلا شكل من أشكال الأسطورة أو ما يعرف بالميثولوجيا التي أصبحت في حد ذاتها إختصاص علمي و تعتمد في العلوم (كإعتماد الميثولوجيا في الأنتروبولوجيا)،« **بل أكثر من ذلك خروج**

المعرفة عن مركزية العقل لتمتد لمصادر أخرى ».

ففي ظل هذا التعقيد و التشابك المحيط بالعلم ،و لفك بعض الشفرات وحل بعض الألغاز مما يحيلنا إلى إستحضار واستدعاء أداة مهمة للإستبصار و التبصر سميناها : **"الجدلية البناءة "**.

- **بإختصار ،الجدل كمصطلح فلسفي المقصود به « هو حركة الذهن بين الأفكار» ،فلتكون الجدلية بناءة عليك "باللعب" على تكامل،تناسل،تناغم ،تشابك وبالتالي التفاعل و الحوار بين المتناقضات .**
- **بدءا بتركيبة الدماغ البشري" الجدلي" بتناقض وظائف نصفيه الأيمن و الأيسر، وما وجب أن يبنيا عليه من ترابط وتناغم و تكامل (أنظر الرسم أدناه).**

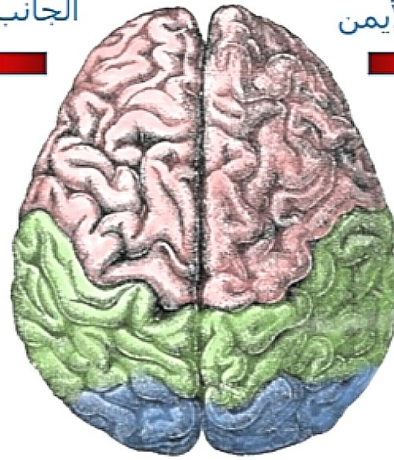
INTERCONNECTION

الدماغ البشري



الجانب الأيمن

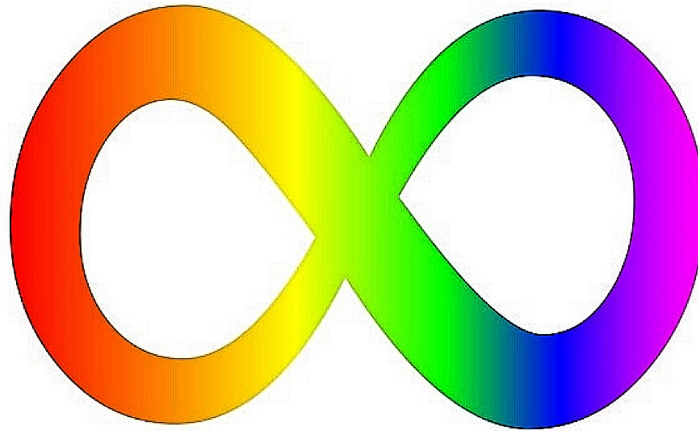
- فكر البديهة
- التصور الشمولي
- التسلسل العشوائي
- التفكير العاطفي
- إتصال غير اللفظي
- مغامر
- بديهة
- الفنون والكتابة الإبداعية
- التخيل
- رؤية المجال الأيسر
- المهارات الحركية للجانب الأيسر





الجانب الأيسر

- التفكير المنطقي
- التصور التفصيلي
- التسلسل المطلوب
- الفكر العقلاني
- إتصال لفظي
- حذر
- التخطيط
- الرياضيات/ العلوم
- المنطق
- رؤية المجال الأيمن
- المهارات الحركية للجانب الأيمن



د.جويني

- **وحتى النظام (الترتيب) المبني عليه التفكير العلمي(كما هو متعارف عليه) تظاف اليه أو جب كذلك الأخذ بعين الآعتبار مبدأ اللانظام (أو الفوضى) عبر الصدفة أو "العشوائية العلمية" (المقصود هنا بالصدفة هو حدوث الأشياء أو الأحداث أو الظواهر بطريقة غير متوقعة و «ولأسباب» غير معروفة أي مجهولة)، فالحتمية(سبب يؤدي لنتيجة) لوحدها تأدي إلى « التكرار و الرتابة» ،و اللاحتمية (العشوائية) لوحدها من جانبها كذلك تؤدي إلى« اللاشيء» ،و بالتالي تلازم وتكامل اللاحتمي و الحتمي أو الصدفة و الضرورة في الفكر البشري هما أساس حرية التفكير .**
- **ثم عتماد اللامنطق في المنطق و حتى اللاوعي في الوعي وكذلك المطلق في النسبي بعتبار أنه مايبدوا " في الظاهر" نسبي هو في الأصل يقوم على المطلق "الذي يتجلى في شكل مبادىء أساسية" كعلاقة المسؤولية في مبدأ الحرية وكذلك**

علاقة العلم(نسبي) و الدين(مطلق) ، إلى جانب جدلية الحقيقة و الخيال أو المادي و اللامادي أي الميتافيزيقا (ففيزياء الكم مثلا لا يمكن إدراك الحقائق فيها إلا بالخيال كنظرية "التشابك الكميQuantum Entanglement" أو "كفرضية الأكوان المتعددةMultiverse ") .

- **وكما قال غاستون بشلار :**

« الاشتغال بالعلم، هو أن تفكر عكس عقلك»

Doing science is thinking>>

<<against your brain

2-3-صفات الباحث و المقاربات الممكن إعتمادها

إن تعقيدات " المغامرة الإنسانية" وتجلياتها الكونية من جدلية وجودية قائمة أساسا على تلازم السببية أو العلية مع الصدفة أو العشوائية و بالتالي الحتمي و اللاحتمي و اليقين من عدمه مع أخذ بعين الآعتبار حدود العقل البشري من إدراك و فهم بعض الظواهر إلى عدم الإدراك والفهم ،فكما قال كانط في كتابه نقد العقل المحض:« أن العقل

يطرح أسئلة يعرف مسبقا أنه عاجز عن الإجابة عنها » ، وغير ذلك من الأمور التي تقتضي من الباحث أو المفكر أن يكون متناغما و متأقلما مع هذا التعقيد المتمحور حول الإنسان بعتباره ذات و منظومة " معقدة أو مركبة" مفروض عليها التفاعل و الوعي بمختلف "الرهانات" المكونة « للشرط الإنساني(في مقولة ل Hannah Arendt)» و إلا كان الباحث خارج « **الانتقاء الطبيعي للمنظومة العلمية»** ، وبناء عليه وجب على العالم المفكر أو الباحث آعتماد منهج أو سبيل أو طريقة تفكير تأهله لصنع حقيقة علمية ما **شاملة وعامة.**

فعلى الباحث المفكر أن يقوم بخلع عباءة «العبودية» (العبودية لمكبلات الفكر كالمسلمات و غيرها) قبل الدخول إلى المختبر ليرتدي ثوب «الحرية» أثناء أشتغاله بالبحث ، لذلك وجب عليه كشرط أساسي (خاصتا للمفكر العربي) أن«**يعتنق نظرية قتل الأب الفلسفية»** (أي التخلص من المكبلات الفكرية : التاريخ ،المسلمات،الخ...) مما يقتضي منه العقل النقدي (الإبستيمولوجيا مثال) في توليد المعرفة لتطور النهضة الفكرية، وبناء عليه لا يمكن للحرية أن يكون لها صدى ووقع

عملي بدون طريقة أو منهج أي مقاربة تجد لها من خلالها مكانا تستمد منه تأثيرها في الفضاء العلمي مع الأخذ بعين الإعتبار التعقيدات، فاءلى جانب حرية التفكير و إطلاق أجنحة العقل للطيران إلى المعلوم و كذلك المجهول في الفضاء اللامتناهي بدون قيود عبر ملكة الخيال مثلا (فالخيال لا يتناقض مع العقل بل يكمله) ،، وكذلك أن يبتعد عن «الهوى» أو ما سماه سيقموند فرويد «الليبدو» ،أن يكون إلى جانب تخصصه موسوعيا مطلعا و عابرا لبقية العلوم و المعارف عند تجوله و تنقله بين أسرارها و خباياها وخاصتا مطلعا على آخر الإكتشافات و الإختراعات العلمية في مختلف المجالات و الميادين حيث سيجد إثراءا لتخصصه بطريقة غير مباشرة و"لا واعية" ، أي أن يكون عند اشتغاله "مؤلفا" أي جامعا بين المعارف ,أي مايصح أن يطلق عليه لقب : **«المختص المؤلف Synthesizer Specialist» .**

- **باختصـــــار على المفكـــــر التخلص من التفكـير "الميكـانيكي" وعليـه باعتمـاد التفكير "المرن" أي القابـل للتـأقلم أو التكيـــف و بالتـــالي « التطـــور»**، ويمكن الاستئناس ببعض المناهج أو الطرق التي تحيلنا إلى هـذا التمشـي ، مثلا : **«التفكير المعقـد**

«Complex Thinking لإدغار موران،و بـــــالمجهر الكلي أو الشـــــمولي«The «Macroscopeل Joël de Rosnay، وإن اختلفت تسـميات منــاهجهم إلا أن هــؤلاء يدورون حول مجرة **المقاربة المنظوماتية(The Systemic Approach)**،« فالمنظومة أو النظام هو كل مكون من وحدات متعاضـدة تعاضـدا تكـون بمقتضـاه كـل وحـدة مشدودة إلى وحدات أخرى و لايجـوز أن تكـون بمعـزل في علاقتهـا بهـذه الوحـدات » ،وهـذه المقاربة تسعى الى تخليص الفكر البشري ممـا سـماه أدغـار مـوران "بالعمـاء الـبراديقمي في المعرفة" **لأنها تعتمـد عـل التصـور العـام وتأخـــذ بعين الإعتبـــار « التعقيـــد» أو الترابـــط و التفـــاعلات بين العناصـــر ، والإتصـال و التكامـل بين المكونـات أي العلوم و المعارف فيما بينهـا ، عكسـها في ذلـــــك المقاربـــــة التحليليـــــة (analytical approach) الــتي تركـــز على العناصـــر منفـــردة فهي تعـــزل و تفصل بين المعارف، تعتمد فقـط على دقة التفاصيل .**

- في ما سبق ذكره في هذه المقالة تطرقنا إلى الحديث و مررنا عن ثلاث مبادىء أساسية ألى و هي : **المعرفة** ،**الحرية** و **المنظومة** وهي جزء من **سبعة مبادئ أساسية** تقوم عليها مقاربتنا الكونية **« الحوكمة النبيلة»** إلى جانب أربع مبادىءأخرى وهي : «**الكونية**» ثم «**المسار**» و «**التغيير**» وكذلك «**البعد**» **(أنظر الرسم أدناه) ،** وهي مقاربة يمكن عتمادها مثل المقاربتين سالفتي الذكر**.**



- فالحوكمة النبيلة هي الطريقة، منهج التفكير الكوني وكذلك العلمي وهي مقاربة تقوم على سبعة مبادئ أساسية (سبق ذكرها) مجتمعة و متشابكة أو معقدة و مركبة ، و قد سميت بالحوكمة النبيلة لأنها **ترتقي و تسموا بالفكر البشري إلى درجة النبل** وهي متعددة الاستعمالات .

ملاحظة: للتعرف أكثر على نظريتنا و مقاربتنا « الحوكمة النبيلة» أنظر الإحالات (بعد الخاتمة أو فصل المقال) .



رمز أو شعار الحوكمة النبيلة

3- فصل المقال

بما أننا في حضرة الاستراتيجيات فمن البديهي السؤال و معرفة أهداف العلم و من وراءه التفكير

العلمي . فالعلم وإن حصر في معناه الضيق في شكل تخصصات إلا أنه يأخذ في مجمله شكل المنظومة التي وجب عليها الإنغلاق لضمان الإنفتاح<<Semi Open System>> لذلك فاءن التفكير العلمي و نتاجه البحث العلمي وإن سعى للرقي و تطوير علم ما في مجال أو إختصاص معين إلا أنه بطريقة غير مباشرة سعي لإثراء بقية العلوم و المعارف لأن هذه الأخيرة بطبيعتها " متناسلة", "متكافلة"و" متكاملة" للوصول لحقيقة ما و لما فيه خير البشرية جمعاء «بغض النظر عن النوايا السيئة في استعمال العلم » إن كانت هذه الأخيرة تحيلنا إلى **« الحاجة الى الأخلاق »** كقيمة بشرية وعلمية إلى جانب ضرورة "**التثاقف**" (تبادل الثقافات) بين الشعوب و من ورائها الدول لآستدامة النوع البشري و الرقي بإنسانية الإنسان .

تبعا لما تم ذكره في هذه المقالة ، لا يمكن للمشتغل في التفكير و البحث العلمي إلا أن **يفكر كونيا** ، و لذلك ارتأينا من جانبنا كعالم إلى هندسة أو بلورة نظرية و مقاربة علمية كونية سميناها « الحوكمة النبيلة»لأن **البشرية مهما إختلفت فاءن مصيرها مشترك** .

الإحالات :

نظرية و مقاربة: الحوكمة النبيلة

(التسجيل و النشر)

مسجلة في بنك النظريات أوالمناهج عبر الرابط :

https://www.universalforesight.com/uf-methods-bank/11391

منشورة باللغة العربية في مجلة علمية دولية محكمة عبر الرابط :

afakcenter.com/مجلة رؤى سياسية

(العدد الثالث ، من الصفحة87 إلى 116)